مكتب الشهيد

الديوان الأميري

بصمات في تاريخ الكويت

بطل العديلية

الشهيد إبراهيم حسين علي المذكور المهنا

تخليد ورعاية

بصمات خالدة

العطاء، بدرجاته المختلفة، قيمة إنسانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسانية لأنها تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنها تجسد الإيمان المطلق بأن الحياة الحقيقية هي الحياة الكريمة وهذه تستحق التضحية بأثمن ما يملكه الإنسان وهو النفس... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويت للغزو.. لقد توقف الزمن عندها ليشهد هذه الملحمة الإنسانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يستهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشأن الإنسان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدتها التضحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضمن سلسلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الإيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشهيد عن طريق تخليد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.

Tel: 1888101

بطـــــل

العديليـــــة

قصة الشهيد(*)

إبراهيم حسين علي المذكور المهنا

بقلم

خالد صالح فهد الحربي

(*) تمت الاستعانة بحيثيات الشهيد من كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم، شهداء الكويت: بطلاتهم وتضحياتهم: الجزء الثالث - ص٨٣ -٩١.

813 الحربي، خالد صالح فهد .
بطل العديلية : قصة الشهيد إبراهيم حسين على المهنا المذكور .../ بقلم خالد صالح فهد الحربي. - ط 2.- الكويت : مكتب الشهيد، 2013
26ص: 21سم. - (بصمات من تاريخ الكويت)
ردمك : 978-99906-84-21-6
1 - القصة العربية - الكويت 2 - الشهداء 3 -الكويت - تراجم أ- العنوان
ب- السلسلة

ردمك: 978-99906-84-21-6
رقم الإيداع: 489/ 2007

«إهـــــداء»

إلى أرضـــي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضيحة والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشـــعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياســـية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشـــهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الـــرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

فـــي مجموعتنا « **بصمات في تاريـخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين علـــى المحتـــل، وإرادة النصر على الغاصـــب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض فعندما تحقـــق النصر وطُـــرد الغزاة حكـــت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم

شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمه أحمد الأمير

«حقاً إنه بطل العديلية»

لم يعلم الشـــهيد إبراهيم بأن الكابوس الذي جثم على صدره تلـــك الليلة لايعتبر كابوســـاً في مقابل الكابـــوس الحقيقي الذي ســـمع به من أخيـــه (خليفة) .. كابوس الغـــزو الصدامي لأرضه وأرض أجـــداده.. كانـــت الصدمة والذهول .. لكـــن لم تكن أمام إبراهيـــم خيارات كثيرة.. إنها قضية الوطن.. ســـرعان ما تحول هذا الإنسان الهادئ الحنون إلى مقاتل ثائر.. إرتدى ثيابه وتوجه إلى مقر عمله وبدأ مسيرة المقاومة متدرجاً فيه من عمل بطولي إلى آخر.. تصدى للغزاة مع مجموعة المقاومة في منطقة كيفان.. بدأ في توزيع الأموال على المحتاجين.. وكان يتنقل من مكان إلى آخر عن طريق هوية مزورة.. أشـــار عليه البعض مغادرة الكويت فأبـــى ذلك وأصر على الاســـتمرار في المقاومـــة على الرغم من تواتر الأنباء التي تحدثت عن بحث الاستخبارات العراقية عنه.. حتـــى زوجته ورفيقة دربه لم تعلم بنشـــاطه البطولي إلا في فترة متأخرة وبعد أن بدأ العدو يضيق الخناق عليه..

في أحـــد تلك الأيام الســـوداء تجمعت قوى الشـــر بآلياتها وعتادها وجنودها وطوقت منزل الشهيد .. فاستقبل إبراهيم ذلك بصلابة ورباطة جأش وتم إعتقاله وأخيه بل ووالده ونسيبه أيضاً وتعرضوا لأنواع التعذيب النفسي والبدني..

وفي فجر أحد الأيام.. وقف الشـــهيد وأمامه فرقة الإعدام.. وقـــف الحق كله ووقف الباطل كلـــه.. إنطلقت رصاصات الغدر .. وأصبح إبراهيم جثة هامدة ولكنه تحول إلى قصة تنبض بالحياة.. عند الظهيرة كان هناك والد الشهيد إبراهيم المذكور وكان نسبيه.. كانت لحظات مفجعة كانت لحظات ألم وبكاء ولكنها لحظات ولادة قصة أخرى من قصص البطولة والفداء.. قصة الشـــهيد إبراهيم حسين علي المهنا المذكور.. لنقف على أحداث تلك القصة.

أخوكم

أ.د/جاسم يوسف الكندري

رئيس مجلس الأمناء

تأتيه أغاني البحر والماضي غير البعيد، تنساب إلى داخل أذنيه بتناغم وشجن، وكأنها امرأة ترتدي فستان ليلتها الأولى، كما يقال ومتعارف عليه (ليلة الدخلة)، أصوات مطربيه المفضلين أمثال (محمد زويد) و(راشد الحملي) وغيرهما ممن عشقهم، وأطرب لسماع ألحانهم.

كل شيء فيه يدعو للتأمل والتفكير، من النادر إيجاد رجل في هذا الزمن المتحول بمعنى الكلمة، رجل يحب لغيره أكثر مما يحبه لنفسه، متصف بالكرم والسخاء ذي يد معطاء، شخص حنون على أهله وأقربائه، وكذلك القريب والبعيد من أبناء منطقته.

لقد كان يحب الآخرين ومن يلتف حوله، فبادلوه بالمثل، وامتاز بشدة ملاصقته للناس ومساعدتهم. وهو أبٌ عطوفٌ يحب دائماً أن يداعب أبناءه الأربعة، تارة يحملهم بين ذراعيه بحب وشغف أبوي، وتارة يحتضنهم برعايته وخوفه الدائم عليهم. يحلم بأن يرى لكل منهم مستقبلاً زاهراً وواعداً، وأن يصبحوا ذات يوم أناساً متميزين يشار لهم بالبنان. كان شأنه شأن البقية من الآباء، شديد التعلق بابنه (علي) وهو أصغر أولاده، ذلك الطفل الذي تعلق به قلبه وكأنه قطعة من جوفه، عندما وهبه الله هذه الدرة المكنونة وأيضا بقية بناته، كان حلمه بأن يراه ضابطٌ أو محامياً أو حتى طبيباً، أو أي مهنة قريبة من مساعدة الآخرين. بالإضافة إلى أشياء أخرى كثيرة ومختلفة تجول في رأسه، لطالما حلم وتمنى أن تتحقق.

إنه (إبراهيم حسين علي المذكور المهنا).. بطل هذه القصة الواقعية التي ستظل في ذاكرة الشعب الكويتي بما قدمته من مثال كبير وحي على حجم التضحية من أجل الحرية والتحرير. إنه تلك الشخصية المحببة والمقربة لدى الكثيرين ممن عاصروه وعاشروا وجوده اللطيف بينهم.

لم ينم إبراهيم في تلك الليلة غير المقمرة، والممتلئة بغيوم داكنة في فصل يفترض عدم وجودها. الأحلام البيضاء والكوابيس ومعها الأضغاث، جميعها امتزجت في باطن عقله، يتقلب في فراشه عدة مرات، مرة جهة اليمين، ومرة أخرى جهة اليسار، وكأن خنجرا حاراً يكوي جانبيه ولا يدعه يهنأ بنومه، العرق يداهمه، وينتشر بشكل غريب فوق ساحات جبهته بصورة مريعة، وكأنه يقبع بغرفة شديدة الحرارة، أخذ يشعر باختناق رهيب، وكأن يد مارد جبار تطبق على عنقه، كان يشعر أثناء نومه، وكأن صخرة عظيمة تقبع فوق صدره وجسمه، ولا تدعه يتنفس أو يتحرك بطريقة طبيعية.

لا تزال أحلامه مستمرة وكذلك كوابيسه المفزعة، أخذ ينادي أثناء منامه على عدة أسماء وبشكل مستمر، بعضها لأناس يعرفهم، ارتسمت ملامحهم المألوفة في ذاكرته لقربه منهم، وقد تكون لأناس غير معروفين وغرباء ولم يرهم أو حتى يختلط معهم من قبل.

صحا مذعورا من سباته المشدود، وهو يرتعش متوترا مما عانق صدغه بسبب ما رآه في منامه، أخذ يتعوذ من الشيطان

الرجيم مما أحاط بمخيلته من أمور بغيضة، ثم جال ببصره حول الأشياء المركونة والمرتبة في أرجاء غرفته، وتفحص بعينيه أثاث المكان ومحتوياته، وكأنه بفعلته تلك يحاول أن يتأكد بأنه لا يزال موجودا في مكانه الصحيح وبين أهله.

استيقظت زوجته على أثر فزعه وصوته المتوتر، اقتربت منه أكثر، وهي تحاول التخفيف من حدة قلقه، وتهدأ من وتيرة أعصابه المشدودة، مسحت بيديها الرقيقتين، العرق المنساب على مقدمة رأسه، فهي الأخرى كانت فزعة لمنظره وحالته، وأخذت تحدثه باهتمام وحرص على نفسيته المتعبة:

- خيرا إن شاء الله.

- إن شاء الله خيراً، إن شاء الله خيراً.

- ما بك؟.

- لا شيء.

- نبرة صوتك لا تدل على أنك بخير، أخبرني ما الأمر الذي أفزعك؟.

كان مترددا في بادىء الأمر لإخبارها، ولكن لكونها زوجة مخلصة ومحبة، لم تدع ما يتعبه يمر هكذا دون الوقوف إلى جانبه، سألته مرة أخرى، فلم يجد مبرراً للإخفاء عنها، فأفصح عما أفزعه.

- لقد دهمني كابوس مفزع، لا أستطيع، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- سأجلب لك كوبا من الماء البارد.

نهضت زوجته من عنده مهرولة إلى المطبخ، لإحضار ما يطفىء ظمأه وتعبه، ثم رجعت إليه وكأنها لم تغب عنه سوى لحظة واحدة، مدت يدها إليه بما جلبته له، ما أن أمسك بالكوب ليرتشف منه، وفي لحظات قصيرة، قبل ملامسة فمه الماء، حتى رن هاتف المنزل وبشكل مستمر، وكأن المتصل يتعمد فعل ذلك ومحادثة إبراهيم بإصرار، فالتقط سماعة الهاتف وإذا بأخيه (خليفة) على الطرف الآخر من الهاتف يحدثه وهو يتلعثم، كان يتكلم بنبرة مشحونة بالغضب والكمد، وصوته مرتفع بشكل حاد، ويتكلم بطريقة غير منتظمة ومبهمة نوعا ما.

- (إبراهيم) العراقيون يا (إبراهيم).. لقد غزوا الكويت، العراقيون خانوا المواثيق والعهود، خانوا الجيرة والأخوة، إن أرض الكويت تستباح.

لم يصدق إبراهيم أي حرف أو أي كلمة قالها له أخوه (خليفة)، لم يصدق هذا الخبر الأسود الذي نزل عليه نزول الصاعقة، نزل على جمجمته كما لو أن فأسا صدئاً قد ضرب جميع جذوع حواسه.

جن جنونه لما حصل لأرض وطنه، فأخرج ثيابه التي اعتاد ارتداءها عند ذهابه إلى مقر عمله، حيث أنه يعمل عسكرياً،

وبسرعة وعلى عجالة من أمره، كانت زوجته وراءه تستعلم وتسأله مستفسرة ومصرة على إخبارها عما أربكه، وقلب كيانه وهدوءه المعهود، رأسا على عقب، كان انطباعها الأول، بأنه قد حدث مكروه لأحد أفراد عائلته، هذا ما شاطر أحاسيسها وأدخل الرعب في جوفها، وهي لا تعلم بمدى فداحة الأمر، أو المصيبة العظمى التي حدثت في جنح الظلام ولا أحد يعلم بما جرى. سكت لبرهة مترددا نوعا ما أو أنه لا يدري من أين يبدأ حديثه معها أو كيفية إخبارها، خرج من سكوته المطبق، أخبرها بعد ذلك بالسبب الذي أصابه بالإحباط والجنون، أجابها بما سمعه من أخيه، هي الأخرى لم تصدق ما تلفظ به أمامها، وكأنها لا تزال نائمة وبأن ما قاله هو مجرد جزء من كابوس بغيض، أخذت تتساءل وبصوت مرتفع مشحون بالبكاء:

- العراق، الجارة المسلمة، تغزو الكويت، تستبيح هذه الأرض الصغيرة، المسالمة بشعبها وبأميرها؟.

عندما أخبرها بما حدث، خرج (إبراهيم) من منزله مهرولا بوجه تعلوه علامات الحيرة والذهول، غير مصدق حتى لحظة خروجه ما سمع، وحتى عندما شاهد بعينيه بعضا من أرتال الغزاة وهم ينتشرون كالوباء على الأرض، أسرع متوجها إلى مقر عمله في إدارة الأحكام في منطقة (الجابرية) حاملا معه سلاحا خفيفا، خرج بعد أن أوصى شريكة حياته ورفيقة دربه، بأن تجمع الأبناء وتذهب بهم إلى منزل ذويها، حيث يكونون بمأمن، وألا يعودوا حتى تستقر الأوضاع وتتبين الحقيقة، أي

عند إماطة اللثام عما يجري على أرض الكويت، تلك الأرض التي لم تؤذ أحدا، قريبا كان أو بعيدا، جارة على الحدود أو حتى دولة صديقة.

وصل إلى حيث يعمل، فاستقبله بعض من زملاء العمل، ثم دارت بينهم بعض الحوارات الجانبية عما يصنعون حيال هذا الموقف الصعب، إلى أن استقرت الأمور على مواجهة هؤلاء الغزاة الطامعين.

بدأت أولى مراحل مقاومته لقوات الاحتلال عندما اجتمع هو ومن معه في المكان وأخذوا يقاتلون العراقيون ببسالة وضراوة ملفتة للنظر، لم ييأسوا، ولم تخر قواهم أو عزيمتهم، لأنهم كانوا يمتلكون إيمانا كبيرا بعدالة قضيتهم وما يفعلونه.

كان إبراهيم، ومن مكان مقاومته، يتصل بزوجته وأهله بين الفينة والأخرى، ليطلعهم على ما يجري وكيف أنه ومن معه من رفاقه المخلصين لتراب هذا الوطن، متطلعين للدفاع عن وطنهم والصمود بشجاعة كبيرة، والوقوف في وجه الغزاة المحتلين، بكل شموخ وعزة ولكن، المقاومة لم تستمر طويلا، لأن نفاد الذخيرة، وتزايد أعداد الغزاة من حول المبنى، أديا إلى توقف المواجهة.

❖ ❖ ❖

عاد إبراهيم بعد مغيب قرص الشمس الحزينة، إلى منزله في منطقة (الفيحاء)، عاد والمرارة والحزن تحاصران قلبه، وتجولان في خاطره وأعماقه التي بدأت تنزف قهرا على ما يحدث،

صدره يضيق شيئا فشيئا، التفكير في هذا الأمر مستمر، وكأنه مطرقة قاسية تدق على رأسه، ماذا يصنع؟... من أين يبدأ؟.. كيف تكون ضربته الأولى؟.. ثم أين وكيف؟.. النيران تحاصر قلبه المفتت، مثلما حاصرت وطنه.

أخذ يفكر ويفكر طويلا وكثيرا، حتى استقر تفكيره وما يعذب خافقه، فقرر أن يشترك مع مجموعة من الرجال والشبان، في تكوين خلية مقاومة لصد العدو الباغي، بعد أن سمع عن ذلك التجمع للمقاومة من البعض، فانضم إليهم، وكانت تلك هي المرحلة الثانية في مشوار مقاومته للغازي، وكان ذلك مع مجموعة في منطقة (كيفان).

اختار ابراهيم، في بداية اشتراكه بالمقاومة، مهمة توزيع السلاح على المواطنين، كما أنه بدأ بتوزيع النقود على بعض الأسر الكويتية المتواجدة في ذلك الحين، ولقد كانت تصله تلك الأموال لتوزيعها على المواطنين، عن طريق الحكومة الشرعية الكويتية المتواجدة بالمنفى. كما أنه خبأ كل ما بحوزته من أسلحة خفيفة، في المناهيل والصرف الصحي في منزل والده وأيضا في منزله حتى لا يتم اكتشافها. فعل كل شيء لمقاومة الأعداء. بعد أن أقسم على صد ومحاربة العدو الغاشم، حتى آخر يوم في حياته، وآخر رمق من أنفاسه.

بدأت أولى خططه وللتخفي عن أعدائه، حتى لا يقع فريسة لأنيابهم ومخالبهم، بحمل هوية وهمية بوظيفة (نوخذة)، لقد اختار هذه المهنة لتلك الهوية لحبه وعشقه لممارسة هواية

(الحداق) البحرية. كان عندما يتوقف عند كل نقطة تفتيش، يبرز تلك الهوية، لكي يتجاوز نقاط التفتيش، كي يتمكن من الوصول الى المواطنين ومساعدة المحتاجين من أبناء هذا الشعب المخلص.

ولأنه رجل تقي، يخشى الله كثيرا، فقد كان كثير الدعاء من أجل انفراج هذه الأزمة، وما تمر به البلاد، من محنة وكرب. كان شديد البكاء مع ذاته، بعدما رأى وسمع ما يجري، فليس بغريب على رجل مثله، يحمل كل هذه الصفات الكريمة، المسالمة، أن يتأخر ولو لثانية واحدة، عن مد يد العون لأشقائه، وغيرهم من أبناء المناطق الأخرى.

وينقضي يوم إثر يوم، وإبراهيم لا يزال يقاوم العدو ويدحره، وبشكل منتظم وسري، حتى أن نشاطه في مجال الخدمات العامة، أخذ بالازدياد، فقد تطوع على سبيل التخفي، وعدم افتضاح أمره، بالعمل في إحدى الأسواق التموينية الصغيرة، التابعة لسوق منطقة (الفيحاء). وزيادة في التمويه تفتق ذهنه عن فكرة عجيبة تنم عن ذكاء كبير، فقد اتفق مع أحد أصدقائه من المقاومين، على شراء مجموع من الخراف وتوزيعها على بعض المنازل الخاوية من سكانها، وذلك حتى ينشر الطمأنية والسلام بين المنازل المجاورة والمأهولة بالسكان، والتي كانت ملاصقة لبعض تلك البيوت الخالية من البشر، وكذلك لرفع الروح المعنوية للآخرين، وبث العزيمة والصمود في أفئدة الجيران ومن كان يتواجد في تلك المنطقة، في ذلك الحين.

❖ ❖ ❖

تمر عليه الساعات ثقيلة وكأنها الدهر، وكذلك الأيام، حتى أنه شعر بها وكأنها تزحف زحفا بطيئا خانقا، وخيل إليه وكأن الزمن قد توقف عند حد معين، والتاريخ يرفض أن يستمر بالمضي يوماً آخر أكثر أملا. أحس بانكسار رهيب بعد ما رآه بعينه وسمع بأذنيه عما يحدث لوطنه، شاهد ما يفعله هؤلاء الطغاة وما يمارسونه من أساليب وحشية وقاهرة، يتعرض لها الأبرياء من الأطفال والنساء وكبار السن، أولئك المجرمون لم يراعوا حرمة هؤلاء الذين لا حول ولا قوة، حتى الحيوانات لم تسلم من بطشهم.

بالرغم مما رآه، من تنكيل وإجرام ضد الأبرياء، إلا أنه لم ييئس لحظة واحدة، ولم يهدأ باله عن الاستمرار بالتفكير كثيرا وبعمق بما يجري حوله. إلى أن بدأت محاولات البعض من أقاربه، وكذلك أصدقائه المخلصين من شبان المقاومة، بإدخال فكرة خروجه من الكويت. إلا أنه كان يستقبل هذا الحديث بصورة تنم عن إصرار لمقاومتهم حتى آخر يوم في عمره، وقد أبى فكرة تطبيق هذا الأمر، وفضل الموت على ترك شبر واحد من تراب بلاده، لأنه عقد العزيمة على المضي، في طريق الدفاع والمقاومة، بالرغم مما يحيط به ويدركه من خطورة شديدة وقسرية، في تلك الأيام البغيضة.

في أحد المرات وكعادته، أخبره أحد أصدقائه الذين يترددون على مجلسه الخاص، بأن استخبارات القوات العراقية المحتلة، قد سألت عنه أكثر من مرة.

في بادىء الأمر، لم يهتم لهذا الموضوع، لأنه كان قد أقسم بفداء حياته من أجل وطنه، ولكن لحرصه على سلامة الآخرين أكثر من حرصه على نفسه، وللوضع المتأزم ونصائح من حوله من المقاومين، رأى من الصواب، ترك منزل ذويه في منطقة (العديلية) بعد أن أخبره بعض الأوفياء، بأنه وبسبب نشاطه المكثف والملفت للأنظار، سوف يعتقل عاجلا أم آجلا، وذلك بعد ورود معلومة مع بداية الأسبوع الثاني من حرب تحرير الكويت، من سيدة لها صلة بوالدته، بأنها كانت قد رأت سيارة صغيرة ذات لون أبيض بها عدة أشخاص غرباء عن المنطقة، تتردد على الشارع الذي يقطنه، ولم تكتف بذلك فقط، بل أن الغرباء كانوا كثيري السؤال عنه، مما أثار فزعا وقلقا رهيبا في صدر والدته، إلا أن إبراهيم، استقبل هذا الخبر، بنوع من الصمود وعدم الجزع، كما أنه طالب والدته، بعدم إشغال ذهنها بهذا الشأن.

لا تزال الساعات تمضي بطريقة ثقيلة، التفكير يسيطر عليه وبكاؤه مع ذاته يشله، يخيل إليه بأنه سوف يقع بأي لحظة بين أيدي أعدائه، وكان هذا بالفعل، ما حدث، فقبل اعتقاله بيوم على أكثر تقدير، هاتفه أحد الأشخاص وأخذ يسأل عن عنوان منزله، بالرغم من معرفة ذلك المتصل بعنوان إبراهيم مسبقا، مما أدخل الشك والريبة في قلب هذا الأخير، عندئذ، أحس بأن القوات العراقية المحتلة، تحاصره، كما أنها تطوق المنطقة التي هو بها بأكملها، وبأنه لن يتمكن من المكوث طويلا بجانب أحبائه وأهله، حتى أن زوجته فوجئت ذات مرة عندما رأت مشهدا مؤثرا، لم ولن تنساه طوال حياتها، عندما وجدته جالسا على سجادة الصلاة،

يذرف دموعه بمرارة وحسرة، سألته في بادىء الأمر عن سبب بكائه، لكنه لم يقوَ على الإفصاح عما يقض مضجعه ويقلقه، بل ظل صامتا شارد الذهن يفكر، ولم يقل لها عما يتعبه وما دعاه للبكاء، حتى أنها لم تيئس، بل أصرت على معرفة ما دعاه للبكاء وبهذه الطريقة الغريبة، فسألته ثانية وبحزم لطيف.

- ما بك؟.. لماذا تبكي؟.

- لا شيء يا زوجتي، لا شيء.

- أخبرني، ملامحك لا تدل على أنك بخير، أرجوك أخبرني، أنا زوجتك.

ظل متمسكا بوجومه لثوان حتى خرج من صمته، ليفجر مفاجأته لها.

- أنا أنتمي مع مجموعة من الأشخاص إلى المقاومة الكويتية، كل ما أرجوه منك، هو عدم إفشاء هذه المعلومة، والأهم من هذا الأمر، أرجو منك الاهتمام بأمرك وبأمر أولادنا، أوصيك بهم، فأنت تعلمين مدى خطورة الوضع الراهن.

أخبرها بأمره الذي ظل محتفظا به، طوال الأسابيع والأشهر القليلة الماضية، وهو يقاوم العدو ويضرب بكلتا يديه وبقوة، وبسرية تامة، حتى أنه وهو يخبرها بما يفعله، لم يشرح لها أدق التفاصيل، مكتفيا بإعلامها بأنه أحد العناصر الفعالة في المقاومة.

كم كانت لحظات مفزعة وحزينة في الوقت ذاته، بالنسبة

لشريكة حياته وأم أطفاله، فهي لا تتصور هول ما وقع في سمعها وهو يخبرها بمن يكون وما يفعله، لأنها تعلم مدى وحشية وقسوة ذلك المحتل إن وقع زوجها أسيرا بين أنيابه، فلن يرحموه أبدا، لن يرحموا ذلك الرجل البطل، الذي اختار مع الشرفاء من أمثاله، طريق العزة والكرامة، بدلا من الإهانة أو الخنوع للظالمين الغزاة.

عند منتصف نهار يوم الجمعة، وعندما يتوجه المصلون إلى المساجد للصلاة والتضرع لله، كان إبراهيم يستعد هو الآخر للذهاب إلى المسجد، إلا أن أمرا طارئا، حال دون ذهابه أو حتى خروجه من المنزل والتوجه إلى حيث يرغب، فلقد بدأت آليات عسكرية من القوات العراقية، يقدر عددها بأكثر من عشرين آلية، كلها مدججة بالأسلحة والعتاد، ومحملة بحشد كبير من الجنود، الذين أخذوا يتمركزون في أنحاء مختلفة ومتفرقة من الشوارع الداخلية والقريبة من منزل ذلك الرجل الشجاع.

وبينما كان هؤلاء الذئاب يتجولون ويأخذون مواقعهم، جاءتهم الأوامر باعتقاله، فجأة، شاهد شقيقه (خليفة) يخبره بما رآه ويحدث، فاستقبل إبراهيم ذلك الخبر بصلابة وقوة بأس، ولم يفكر أبدا ولو للحظة واحدة بالفرار من قضاء الله وقدره عليه، أو أن يفر من شرذمة أدخلها النظام الباغي للكويت. لم يهرب، على الرغم من أنه يعرف بأنه مطلوب ولن يعود إلى منزله وأسرته، بل واجه الموقف بكل شجاعة وثقة كبيرة بما يفعل، بل

أنه واجههم بإصرار أقوى من السابق، وكأنه يتحداهم هذه المرة، الحق يقابل الباطل.

عندما خرج إليهم، واجهه أحد الضباط بسؤاله الكريه:

- هل أنت المدعو إبراهيم؟.

أجابه بكل ثقة وعزة وعدم انكسار.

- نعم أنا هو.

عندما أجابه، صوب الضابط الجبان ومن معه من أفراد عسكريين أسلحتهم في وجهه، لم يكتفوا بذلك، بل أنهم اقتادوه وشقيقه خليفة بقوة إلى سيارتهم العسكرية، وكانوا يهيلون عليهما سيلا من الشتائم القذرة، تارة يركلوهما بطريقة موجعة، وتارة أخرى يسحبونهما بطريقة تنم عن وحشية وحقد دفين، وعدم وجود رحمة أو إنسانية.

لم يكتفوا بذلك، بل أمسكوا بوالد إبراهيم، وكذلك نسيبه، وأخذوا يحققون معهما وكأنهما مجرمان خطيران، ولم يدعوهما وشأنهما، إلا بعد ضربهما وشتمهما بطريقة مبتذلة، ولم يراعوا بما فعلوه، بكاء الأطفال والنساء وهم يشاهدون تلك المناظر المريعة، من خلال النوافذ ومن خلف الأبواب.

بعد ذلك، اقتادوا إبراهيم وأجلسوه في سيارة، وشقيقه خليفة بسيارة أخرى، إلى أقرب دائرة للشرطة في منطقة العديلية.

أخذت التحقيقات التي بدأها ومارسها الجنود العراقيين مع إبراهيم وشقيقه شكلا قاسيا حتى أنهما كانا تارة يتعرضان للضرب المبرح في مناطق عديدة من جسديهما، وتارة أخرى يتم ضربهما بأعقاب البنادق الآلية، وإسماعهما بعضا من الإهانات المؤذية للمشاعر والتي تنم عن انحطاط بالأخلاق.

فعلوا وجربوا معهما، كل طرق التعذيب وأفظعها، كل ذلك حتى يقرا ويعترفا ويدليا ببعض المعلوات المتعلقة بأفراد المقاومة الكويتية، حتى أنهم لجأوا إلى أقذر أنواع التعذيب، وهو التعذيب النفسي، فمرة يخبروهما، بأنهما على وشك الإفراج عنهما، ومرة ثانية، يخبروهما بأنهما قد تم الحكم عليهما بالإعدام والرمي بالرصاص.

لم يكتفوا بذلك، بل استمر مسلسل التعذيب حتى في معتقل (قصر نايف)، بعد أن تم نقلهما بشكل انفرادي، وهناك، التقى خليفة بأخيه إبراهيم، وكان الأخير ملثما، كي يتحاشى الحديث مع شقيقه خوفا عليه، لأنه لاحظ تتبعا مريبا له من قبل هؤلاء الجنود المجرمين.

بعد أن أطفئت جميع أنوار المعتقل، اقترب إبراهيم من شقيقه، وبدأ يسرد عليه من الألف إلى الياء كل ما حدث معه، وبأنه من شدة الضرب والتعذيب، اضطر إلى الاعتراف بكل شاردة وواردة كان يفعلها، وتابع إبراهيم كلامه بشكل جعله ينكسر ويشعر بالاختناق، عندما وجد أحد أفراد الاستخبارات العراقية وممن حققوا معه ساعات طويلة، هو شخص مقيم في أرض الكويت

منذ أعوام، وقد تعرف على هويته وشخصيته الناكرة للعطاء.

ليل الأبطال يرفض الرحيل، الساعات تطول وتطول، وإبراهيم يتألم بشدة وبحسرة، حتى أنه ولقسوة الضرب المبرح الذي تعرض له، لم يستطع تحريك يده الشمال، كل شيء بجمسه يئن ويصرخ، آثار التعذيب والقهر بدت على كل أنحاء جسمه، ورغم ما وجهه من وحشية وعدم رحمة لإنسانيته، إلا أن قلبه ظل معلقا بحب الكويت.

في اليوم التالي، جمعت قوات الاحتلال العراقية، عددا من المعتقلين لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، كان من ضمنهم خليفة، وبدؤوا بالتحقيق معهم مجددا، وبعد مغيب قرص الشمس الدامي، أخرجوهم من (قصر نايف)، متوجهين إلى منازلهم حفاة الأقدام، وكانت في تلك اللحظات، عشرات من طائرات قوات التحالف، تدك بعض المواقع التي تمركز فيها جنود الاحتلال فوق أرض الكويت.

رجع خليفة إلى بيته، بعد أن توقف القصف بين الطرفين، وعندما استقبله أهله بالفرح والبهجة، بدأت علامات من الحزن بادية ومرتسمة على الجميع، الجميع يسأل عن مصير إبراهيم. وبعد البحث والتحري، علموا بوجوده في مخفر منطقة (الرميثية)، فتوجه أخوه ووالده، مصطحبين معهما زوجته، وعندما وصلوا، استفسروا عنه، ولكنهم استقبلوا الإجابة بالنفي وكأنهم تلقوا صفعة قوية، وبأن إبراهيم معتقل في مكان آخر غير هذا المكان.

لم يهنأ أحدا من أسرته، أو يغمض له جفن، ولا سيما زوجته، التي كانت دائمة التفكير بمصيره المجهول، حتى أنها ولشدة ما يعانق ذهنها، حلمت به في إحدى الليالي، بأنه يشتكي من وجع وألم مبرح بيده، وبأنه يرغب ويود بكل شغف، رؤية أفراد عائلته وأولاده الأربعة، ولكن كان هذا مجرد طيف من حلم، أما في الواقع الصعب، فقد حدث ما كتبه الله لهذا الرجل الكريم الشجاع.

فما بين الساعة الواحدة والنصف والثالثة فجرا، سمع أحد الأشخاص الذين يقطنون منطقة (الرميثية)، أزيز محركات سيارات، وشاهد سيارة بيضاء من نوع (تويوتا)، تدخل الشارع وقد أطفئت أنوارها ثم تبعتها سيارة ذات لون أحمر، وما هي إلا لحظات من الزمن، تم إنزال ذلك الأسد من إحدى السيارات التي دخلت ذلك المكان، وبعد برهة، أجلسوه على الأرض مرتكزا على قدميه وظهره باتجاه الجدار، بعد ذلك، غادرت السيارة الحمراء المكان، وبعد ثوان تجمعت فرقة الإعدام، وأطلقت عدة طلقات على ذلك البطل الشهيد، حتى أنهم هربوا مسرعين بثيابهم المدنية، بعد تنفيذ جريمتهم النكراء.

بعد مضي دقائق صعبة على هذا الموقف، عادت السيارة البيضاء، وبدأت بالدوران حول الجثة، ولم تغادر المكان حتى تأكدت من استشهاده، وبأن نبض قلبه قد توقف عن الحركة، دون أن يعلموا أن نبض قلوب الشجعان من أبناء هذا الوطن لا يتوقف عن النبض وبأنهم شهداء عند ربهم، ينعمون في جناته الفسيحة.

بدأ الوقت يمر ببطء رهيب، وجثة الشهيد البطل لا تزال مسجاة على إسفلت الطريق، توجه الرجل الذي شاهد الموقف منذ بدايته حتى إطلاق الرصاص عليه، حتى أنه قد ذهل لهذا الموقف المريع، بعد أن اقترب منه، وبدأ بتفحصه بعينيه، هرول مسرعا إلى أحد المنازل للسؤال والتعرف عن هوية الشهيد، فتبعه شخص آخر واقتربا منه والدماء لا تزال تسيل من جسده الطاهر.

أخرج أحدهم هوية الشهيد، ولكنه لم يستطع التعرف عليه، ففكرا بالذهاب إلى السوق المركزي الصغير، ويبدأ بالسؤال عن هويته لدى البعض، حتى جاء أحدهم وتعرف على الشهيد البطل (إبراهيم حسين علي المذكور).

عند الظهيرة، حضر إلى مكان الجثمان، كل من والد الشهيد، نسيبه، ويا لها من لحظات مفجعة وشديدة الكرب والكمد لهذا المشهد المأساوي، حتى أن الأب لم يتمالك نفسه، فانفجر ببكاء مر وحارق، يترحم على ابنه الشجاع، مؤمنا بقضاء الله.

بعد مضي بضع ساعات على استشهاده، وصلت سيارة إسعاف، نقلت جثمان الشهيد إلى مستشفى (مبارك)، ثم تم دفنه في اليوم التالي، وبالرغم مما يحيط بذوي الشهيد من ألم وحزن بالغ، إلا أن السلطات العراقية لم تحترم مشاعر أهله، وعادت لتسأل عنه.

رحل بطلنا الشهيد «إبراهيم المذكور» عن الدنيا الفانية

ولكن عطر أنفاسه لا يزال باقياً ومنتشراً في سماء الكويت، حتى دمه الطاهر الذي عانق تراب هذا الوطن الكبير بأهله وبأبطاله، لم يجف بعد حتى وقتنا هذا.